ASJP
Algerian Scientific Journal Platform

المجلة التاريخية الجزائرية

ISSN: 2572-0023 / EISSN: 2716-9065
https://www.asjp.cerist.dz/en/PresentationRevue/664

المجلد:07، العدد:02 (2023)، ص93-109

وضعية موريطانيا القانونية بين 25 ق.م و40م

The legal statut of Mauretania between 25 B.C and 40 A.C

الزهرة زعبي*
جامعة الجزائر 02 (الجزائر)
zohrafatmazobi@gmail.com

جاما كاتيا
جامعة الجزائر 02 (الجزائر)
djamakatia@univ-alger2.dz

معلومات المقال

تاريخ الارسال:
2023/10/15
تاريخ القبول:
2023/11/16

الكلمات المفتاحية:
- ✓ مملكة موريطانيا
- ✓ يوبا الثاني
- ✓ بطليموس ابن يوبا الثاني
- ✓ وضعية موريطانيا القانونية

الملخص:

تسلّط هذه الدراسة الضوء على العلاقة التي ربطت روما بمملكة موريطانيا، بعد إعادة إنشائها، في سنة 25 ق. م وإلى غاية سنة 40م، من خلال التطرُّق إلى بعض المصطلحات المتداولة بين المؤرّخين في تحديد طبيعة هذه العلاقة، ثم تعريف الصيغة القانونية المُعطاة لموريطانيا، والواردة في التشريع الروماني، التي عبّرت عن هذه العلاقة بين الطرفين. ثم الكلام عن حصول ملوك موريطانيا على ألقاب جعلت من مملكتهم تندرج في إطار النفوذ الروماني. وقد طرحت وضعية موريطانيا القانونية نقاشا بين المؤرّخين، أسفر عن وجود اختلافات كثيرة بينهم، إذ نجدهم قد وصفوها بمصطلحات، أغلبها لا ينطبق مع ذلك العصر، لوجود صيغة قانونية في الوثائق الرومانية وهي: "**المملكة الصديقة والحليفة للشعب الروماني**".

Article info

Received:
15/10/2023
Accepted:
16/11/2023

Key words:
- ✓ Kingdom of Mauretania
- ✓ Juba II
- ✓ Ptolemy son of Juba
- ✓ Legal status of Mauretania

Abstract:

This study highlights the Roman-Mauretanian relationship, initiated following the reestablishment of the Kingdom of Mauretania in 25 BC, and up to 40 AC, through an investigation of terms commonly referenced by historians in characterizing this relationship. Furthermore, it undertakes the description of the legal status granted to Mauretania as outlined in Roman legislation, It also delves into the titles held by Mauretanian monarchs, which defined the legal status. Moreover, the study explores the attainment of titles by the monarchs of Mauretania, titles that played a defining role in shaping the legal status of Mauretania. Debates among historians regarding Mauretania's legal status resulted in disparities. In historical descriptions, terminology, largely unsuitable for the Roman era, is influenced by a legal formula designating Mauretania as the 'friendly and allied kingdom of the Roman people.

*المؤلف المرسل

مقدمة

ارتبطت ممالك بلاد المغرب القديم، بحكم موقعها المُطل على البحر الأبيض المتوسّط، بعلاقات مع القوى المسيطرة فيه، فبعد علاقاتها المميّزة بقرطاج، يأتي دور روما، التّي، في أثناء إزاحتها للقوّة القرطاجية المنافسة لها في المنطقة، أصبحت تتعامل بطريقة مباشرة مع تلك الممالك، وأدخلتها في كنف دائرة أطماعها التوسعيّة. وقد أخذت هذه السياسة أشكالا متنوّعة، مارستها روما حسب الظروف والمراحل التاريخية.

فبالّنسبة لمملكة موريطانيا، مرّت علاقتها بروما بوتيرة متصاعدة، فإلى غاية بداية حكم الملك "**بوكوس الأوّل**"، أي قبل اندلاع حرب "**يوغرطا**"، لم يكن هناك أيّ رابط يجمع هذه المملكة بالرومان، أو كما هو متداولا في أوساط المؤرّخين المعاصرين، كان كل طرف يجهل الطرف الآخر. لكن، أثناء مجريات تلك الحرب، انقلبت الأمور إلى النقيض تماما، وأصبح القادة الرومان يتواصلون مع ملكها. علما بأنّ المبادرة، في ظلّ ما هو متاحا من معلومات أفصحت عنها المصادر، جاء بسعي من هذا الملك، لتتطوّر العلاقة، فيما بعد، إلى منحى آخر، وأصبح الوجود الروماني يتجلّى في المملكة على كل الأصعدة.

ولأهمّية هذا الموضوع، وقع الاختيار على دراسة مرحلة من مراحل ذلك التطوّر، والتّي تمّ صياغة عنوانها على النحو التالي: "**وضعية موريطانيا القانونية بين 25 ق. م و40 م**". علما بأنّ هذه الوضعية لم تندرج في ظلّها موريطانيا لوحدها، بل خضعت عديد المناطق لنفس الوضعية، لكن، خصوصية موريطانيا تكمن في أنّ روما هي من أعادت إحيائها من جديد، خلال تلك المرحلة، بعد أن كانت قد وقعت تحت سيطرتها المباشرة عقب وفاة آخر ملوك السلالة المورية، ألا وهو الملك "**بوكوس الثاني**".

ويطرح موضوع الدراسة إشكاليات متداخلة، تمّ تلخيصها كالتالي: **ما هي الصيغة القانونية الواردة في التشريع الروماني، التّي تم التعبير بها عن الروابط التّي كانت تجمع بين موريطانيا وروما خلال الفترة ما بين سنتي: 25 ق. م و40 م؟ هل كانت موريطانيا، هي وحدها، من خضعت لهذه الوضعية القانونية في تلك المرحلة من تاريخها، أم أنّ هذه الممارسة لها خلفية تاريخية ببلاد المغرب القديم؟ كيف وصف المؤرّخون المعاصرون هذه العلاقة التي جمعت بين الطرفين؟ وهل عبّرت بصدق عن واقع ما حدث؟**

لأجل كل هذه التساؤلات جاءت هذه الدراسة لتسلّط الضوء على العلاقة التي ربطت روما بمملكة موريطانيا، بعد إعادة إنشائها، من خلال التطرُّق إلى بعض المصطلحات المتداولة بين المؤرّخين في تحديد طبيعة هذه العلاقة، ثم تعريف الصيغة القانونية المُعطاة لموريطانيا، والواردة في التشريع الروماني، التّي عبّرت عن هذه العلاقة بين روما وموريطانيا، وتحوُّل هذه الأخيرة لتصبح ضمن هذا المخطّط الروماني. ثم الكلام عن حصول ملوك موريطانيا على ألقاب جعلت من مملكتهم تندرج في إطار النفوذ الروماني. فبعد أن تمّ إعادة إنشاء مملكة موريطانيا من جديد، يتوجّب معرفة الوضعية التّي أصبحت عليها من منظور السياسة الرومانية، قبل أن تُحتّل في سنة 40 م، وتدخل في إطار وضعية قانونية أخرى.

1. مصطلحات متداولة في وصف علاقة موريطانيا بروما

أبدأ بمصطلح "**الحماية**"، الذّي أطلقه لأوّل مرّة على مملكة موريطانيا "**ستيفان اكزال**" (Gsell S., 1927, t. 8, pp. 215, 286)، في كتابه: "**التاريخ القديم لأفريقيا الشمالية**"، وبالتّحديد الجزء الثامن منه، وكرّر ذكره فيه مرّات عدّة. وتبعه "**جيروم كاركوبينو**" (كاركوبينو ج.، 2008، ص ص 57، 68)، الذّي تداول هذا المصطلح في كتاباته، وبصفة خاصة مؤلفه الذّي يحمل عنوان: "**المغرب العتيق**"، حين تكلّم عن نظام الحماية الذّي طبّقته روما في موريطانيا عند إعادة إحيائها كمملكة من جديد، والذّي ضَمِن لها مُزاولة سيادتها عليها في الخفاء. كما ذكر هذا المصطلح في موضع آخر، حين تطرّق إلى تطبيق روما مخطّط الاحتلال المباشر، بعد أن أزالت نظام الحماية ذاك. واستعمله "**شارل أندريه جوليان**" (Julien Ch-A., 1961, p. 125)، عند كلامه عن إخلاص "**يوبا الثاني**" لروما ودوره في تحقيق أهدافها.

وسار على منوالهم "**مارسيل بنعبو**" (Benabou M., 1976, p. 49)، حين كرّره في كتابه حول المقاومة الأفريقية للرومنة عدة مرّات، حيث ذكر؛ حين وصف الصيغة القانونية لمملكة موريطانيا منذ منحها للملك "**يوبا الثاني**"؛ أنّ "**الحماية**" جُرّبت لأوّل مرة بأفريقيا في سنة 25 ق.م. كما ردّدها مرّة أخرى عندما تكلّم عن الإجراءات المُتّخذة من قبل الإمبراطور "**كاليكولا**" بإنهاء تجربة "**الحماية**"، التّي أنشأها "**أغسطس**" في المملكة (Benabou M., 1976, p. 89). ويستعمل نفس المصطلح في موضع آخر (Benabou M., 1976, p. 247).

ويستخدم "**جاك كاسكو**" (Gascou J., 1978, p. 123) هذا المصطلح في إحدى مقالاته، حين ذكر أنّ مملكة موريطانيا منذ سنة 25 ق.م لم تكن تتمتّع سوى باستقلال اسمي، لأنّها في واقع الأمر كانت مجرد "**محمية**" (Protectorat) من محميات روما. كما ردّده في عمل آخر، أنجزه رفقة المؤرّخ "**ميشال كريستول**" (Gascou J & Christol M., 1980, p. 340)، أعني به المقال المُنجز حول مدينة فولوبيليس (وليلي Volubilis). كما تداول استخدمها في إحدى المقالات الأخرى (Frézouls E., 1980, p. 68).

وجعل البعض كلمة "**حماية**" ضمن عناوين أبحاثه العلمية، كمقال "**جهان دوزونج**" (Desanges J., 1989, p. 56)، الذّي يحمل عنوان: «L'Hellénisme dans le royaume protégé de Maurétanie (25 avant J. – C. – 40 après J. – C.)». وأطروحة "**ميشال كالتولوني– ترانوي**" (Coltelloni-Trannoy, 1997, p. 29) حول مملكة موريطانيا، المعنونة بـ: «Le royaume de Maurétanie (vingt-cinq av. j-c quarante ap. j-c): l'expérience d'un protectorat en Méditerranée occidentale». لكن عندما تم نشرها ككتاب حذفت من العنوان مصطلح "**حماية**". لكن بالطبع لم تحذفه من داخل العمل، وظلّ المصطلح ضمن عنوان الفصل الثاني. بل أنّها تطلق على المرحلة ما بين 25 ق.م و40م عصر "**الحماية**" (Coltelloni-Trannoy, 1997, p. 12).

ولم يجد "**كريستوف هوقونيو**" (Hugoniot, 2000, p. 50) أدّق من مصطلح "**الحماية**" ليعبّر عما كان يريد إيصاله، حين ذكر أنّ "**أغسطس**" **اختار تسيّير موريطانيا وفق نظام** "**الحماية**" بعد أن كان قد جعلها، أرضا

عمومية رومانية ولو نظريا. واستعملها "**محمد مقدون**" (مقدون م، 1985، ص ص 9، 84 – 85) في عمله المنجز حول "**ثورة أيدمون**"، في أكثر من مناسبة، خاصة عندما تكلّم عن خضوع موريطانيا لروما، وأنّ الأخيرة فرضت "**الحماية**" عليها لأجل تحقيق أهدافها فيها.

واستعملها، أيضا، غيرهم من المؤرّخين دون تحفُّظ، حيث يقول "**عمّار المحجوبي**" (المحجوبي ع.، 2001، ص 95): "**نصّب أغسطوس على عرش موريطانيا الملك يوبا الثاني وفرض عليه نظام الحماية**". ومنهم من ذكرها حين تساءل عن الوضعية الإدارية لموريطانيا بين سنتي 33 و25 ق.م، أكانت محمية أم مقاطعة، مُقرّا بصعوبة تحديد تلك الوضعية بدقّة (Valverde L-A., 2012, p. 161). لكن غيره فصل في المسألة، وذكر قائلا: "**التزم يوبا الثاني باحترام نظام الحماية، وفاء لروما وللأسرة اليولية التي ترعرع فيها**" (المحجوبي، 2001، ص 92).

كما استخدم "**إبراهيم حركات**" (حركات، 1984، ص 45) مصطلح الحماية في عنوان عنصرين من مؤلّفه: "**المغرب عبر التاريخ**"، العنصر الأوّل: "**يوبا الثاني (نظام الحماية)**"، وممّا جاء فيه أنّ "**يوبا الثاني**" استمر في الملك تحت حماية الرومان، وحمل العنصر الثاني "**بطوليمي (نهاية نظام الحماية)**"، ويرى أنّ هذا الأخير سار على نفس نظام أبيه المتمثّل في نظام الحماية.

وترى "**ماجدة بنحيون**" (بنحيون، 2007، ص ص 480 – 481) أنّ مملكة موريطانيا، في تلك الأثناء، كانت مملكة محمية وحليفة لروما. وردّدت هذا المصطلح في مناسبات كثيرة، منها رؤيتها في تنصيب "**يوبا الثاني**" بتلك الطريقة على أنّه وُضع تحت الحماية الرومانية.

ولم يلازم هذا المصطلح وصف العلاقة التّي ربطت موريطانيا المُعاد إحياؤها بروما، بل أجده قد ألصقه بعض المؤرّخين، أيضا، بالعلاقة التّي جمعت الممالك النوميدية بروما، حيث يرى "**هشام الصفدي**" (الصفدي، 1967، ص 192) أنّ نظام الحماية ساد في القرن الثاني ق.م، وأدرجت في ظلّه روما، آنذاك، مناطقا عديدة، منها: مقدونيا ومصر ونوميديا وغيرها. كما وصف "**عمّار المحجوبي**" (المحجوبي، 2001، ص 95) هذه الأخيرة بـ: الممالك النوميدية المحمية سياسيا، ويرى أنّ هذه السياسة قد تواصلت في العهد الإمبراطوري مع مملكة موريطانيا. ويضيف قائلا: "**أصبحت مملكة ماسينيسا محمية رومانية إثر الحرب البونية الثانية**" (المحجوبي، 2001، ص 71).

وأكّد "**محمد البشير شنيتي**" (شنيتي، 1982، ص 40)، من جهته، بأنّ نوميديا بعد "**يوغرطا**" أصبحت تحت الحماية، حين قال: "**سيطر على الجو السياسي في روما التيّار المناهض لسياسة التوسّع الاستيطاني من ذوي المصالح والامتيازات في الولايات. في هذا الجو المشحون بالنقمة على الإصلاحيين ودعاة الاستيطان، تم إخضاع نوميديا، وفضل أن تبقى تحت الحماية**". ولـ "**هشام الصفدي**" (الصفدي، 1967، ص 195) رأي في نظام الحماية، بقوله: "**من البديهي أنّ عقد الحماية لم يكن يتم بين فريقين متكافئين متساويين في القوّة بل كانت لروما الكفّة الراجحة والغنم فيه. وعندما تشتّد قوة روما وتتخلّص من أخطار أعدائها الواحد تلو الآخر**

نراها تعمد إلى قلب نظام الحماية بنظام الإلحاق. وهذا بدوره يعني بدء روما في تطبيق سياسة الاستعمار بشكل فعلي". لكن، ورغم كثرة استعمالات هذا المصطلح من قبل العديد من المؤرّخين، الذين تمت الإشارة إلى أبرزهم، إلاّ أنّ هناك من يذكره بتحفّظ، وينتقدهم بأنّهم بالغوا في استخدامه (Cravioto, 2010, p. 119).

إلى جانب مصطلح "**الحماية**" هناك مصطلحات أخرى تم تبنّيها من قِبَل العديد من المختصّين في وصف وضعية مملكة موريطانيا أثناء تلك المرحلة من تاريخها. من بينهم "**مارسيل بنعبو**"، الذّي يتكلّم عن مصطلح "**التبعية**" في مقاله المنشور حول الملك "**يوبا الثاني**"، بعنوان:? Juba II ou l'africanité vassale . وكأنّي به قد خفّف من حدّة ما يوقعه مصطلح "حماية" في الأذهان من توجّه سياسي، مستبدلا به كلمة تؤدي نفس المعنى. لذلك وجد فيه بعض المؤرّخين التعبير الأنسب، لحالة مملكة موريطانيا في تلك الآونة، مردّدا أنّها كانت مملكة تابعة (Kotula & Michalak, 1976, p. 341).

من الألفاظ التّي تُطلق على مثل هذه الممالك لفظ "**العميلة**"، **الذّي** تردّد كثيرا وفي أكثر من موضع من قِبَل "**سيّد أحد الناصري**" (الناصري، 1991، ص 72)، عند كلامه عن مملكة الأنباط، الواقعة شرق الأردن والبحر الميّت، وغيرها من الممالك، مثل قوله:" **كانت مملكة الأنباط قد مدّت نفوذها شمالا إلى دمشق وجنوبا إلى سيناء...، لكن الرومان لم يسمحوا لها بالتوسّع وحددوا نفوذها وحوّلوها إلى مملكة عميلة...**". كما ذكر في موضع آخر، أنّ "**أغسطس**" أنشأ دويلات عميلة في الشرق وآسيا، عوض إتّباع سياسة التوسّع المباشر فيها عن طريق ضمّها (الناصري، 1991، ص 52).

ومن ضمن أقواله، أيضا، قوله: "**وكثيرا ما كانت حكومات هذه الإمارات "عميلة" لا يُبقيها في الحكم شيئا سوى قوة السلطة الرومانية. وكان استقلالها صوريا وينطبق ذلك على موريطانيا وتراقيا ويهوذا في فلسطين وكذلك جلاتيا وكابادوكيا وأرمينيا الصغرى**" (الناصري، 1991، ص 54). وفي سياق كلامه عن مملكة يهوذا وصفها بهذا المصطلح في العبارات التالية: "...**أبقى أكتافيوس على هيرودس بل كافأه بتوسيع مملكته... وجعلها مملكة عميلة...**" (الناصري، 1991، ص 80).

وهناك كلمة مرادفة للّفظ الأجنبي (client)، والتّي يُترجمها البعض إلى كلمة "**زبون**"، استخدمها عدد من المؤرّخين المحدثين في كتاباتهم، حين تناولهم للممالك التّي أنشأتها روما خاصة في الشرق، إذ وصفوها بأنّها "**ممالك– زبونة**". بل أنّ البعض منهم جعله ضمن عنوان مؤلفاته، أو كعنصر من العناصر التي تحويها، ولا يتسّع المجال إلى التكلُّم عنها كلّها، بل سأذكر نموذجا لها، والمتمثّل في العنصر الذّي يحمل عنوان: The Mauretanian client kingdom»، ضمن محتوى الكتاب التالي: «The world of Juba II and Kleopatra Selene. Royal Scholarship on Rome's African frontier » ، موضحا من خلاله العلاقة التي كانت تربط الملك بروما، مقدّما شرحا طويلا مرفقا بأمثلة(Roller, 2003, pp. 267 -275) .

كما أطلقها "**فيليب لوفو**" (Leveau, 1983, pp. 349 - 354) على ملوك موريطانيا من خلال أحد مقالاته، الذي أدرج في عنوانه هذا المصطلح. كما عنونت بها "**ميشال كولتولوني– ترانوي**" (Coltelloni-

(Trannoy, 1993-1995, pp. 59 - 82) مقالها الذّي يحمل عنوان: «les liens de Clientèle en Afrique du Nord, du II^{e} siècle av. J – C. jusqu'au début du principat»، تكلّمت فيه عن روابط الزبائنية التّي ربطت روما بملوك بلاد المغرب القديم، نوميد ومور. نظريا، فإنّ الملوك الزبائن، خلال العصر الجمهوري، يرتبطون رسميا بالدولة الرومانية، وليس بالأشخاص، رغم أنّ الاتصالات الأولى التّي عقدها عديد الملوك كانت مع أشخاص رومان من ذوي النفوذ والسلطة، وفي العصر الإمبراطوري فإنّ هذه العلاقة كانت في غالب الأحيان عبارة عن رابط شخصي بين الملك والإمبراطور (Roller, 2003, p. 267).

وعن الإجراءات التّي يصبح من خلالها الملك زبونا، يقول "**دويان رولور**" (Duane W. Roller) (Roller, 2003, p. 268) أنّها تحدث، في العادة، عن طريق القُضَاة في المقاطعات المجاورة لمملكته، ومن الممكن بطلب منه. ويكون مجلس الشيوخ وحده بإمكانه قبول الملك الزبون. ففي إطار العلاقة التّي ربطت "**ماريوس**" بالجيتول، أي علاقة التحالف، أصبحوا بموجبها زبائنا له، ثم تحوّلوا ليكونوا في نفس الوضعية عند انضمامهم إلى "**يوليوس قيصر**" (Kotula & Michalak, 1976, p. 340).

من المعلوم، أنّ مصطلح حماية يرتبط بالعصر الحالي، ويتطابق مع حقيقة مؤسساتية خاصة مرتبطة بمفهوم معاصر محدّد. ولحداثة مفهوم مصطلح "**الحماية**"، وجب التساؤل عن المصطلح الذّي يتطابق معه في التشريع الروماني. كما أرى من الأصح، إطلاق مصطلح "**الزبائنية**" على مملكة موريطانيا حين وصف علاقتها بروما، لأنّه يتماشى مع أحداث عصره، أمّا المصطلحات الأخرى، كالحماية والوكالة والعمالة، حتّى وإن عبّرت بصدق عن تلك العلاقة، فمن الأفضل الابتعاد عنها لأنّها مصطلحات حديثة لا يوجد مقابلا لها في النصوص القديمة خاصة الرومانية منها. ويمكن أيضا استعمال: تبعية أو بالأحرى مملكة تابعة.

2. مفهوم صيغة "المملكة الصديقة والحليفة"

بعد التطرُّق إلى بعض المصطلحات المُتداولة بين المؤرّخين في تحديد طبيعة العلاقة، التي ربطت مملكة موريطانيا بروما، بعد إعادة إنشائها. نصل من خلال هذا المطلب، إلى تعريف الصيغة القانونية المُعطاة لموريطانيا، والواردة في التشريع الروماني.

فرغم كثرة تداول مصطلح: زبون، إلاّ أنّ بعض المؤرخين يرون، بما أنّ وجوده يعدّ نادرا في المصادر القديمة، من المُفضّل استخدام الصيغة: "**صديق وحليف الشعب الروماني**" (ami et allié du peuple romain)، وهي أكثر دقّة من المصطلحات الأخرى (Sartre M., 1991, p. 60 ; Coltelloni-Trannoy M. , 1993-1995, p. 60; Roller D., 2003, p. 268). لكن هذا الانتقاد لم يطبّق عمليا، لأنّ من بينهم، وأخص بالذكر "**موريس سارتر**" (Sartre M, 1991, p. 60)، ظلّ يكرّره عند الكلام عن ملوك الشرق الخاضعين لروما وقادتها.

وقد وردت في نفس المصادر صيغة "**المملكة الصديقة والحليفة**" (Tacite, 1859, IV, 26 ; Suétone, 1845, Auguste, LX)، أحيانا في صيغة الجمع وأحيانا أخرى في صيغة المفرد. وهي بذلك تُطلق على

المجلة التاريخية الجزائرية AHJ
The Algerian Historical Journal
EISSN: 2716-9065 / ISSN: 2572-0023

المملكة وعلى الملك في آن واحد. وتشتمل على مصطلحين: الصديق والحليف، **ماذا يعني كل واحد منها في التشريع الروماني؟ وما العلاقة التّي تجمع بينهما؟ وهل يرتبطان في كل الحالات ببعضهما؟**

يُسجل لنا التاريخ أنّ الرومان كوّنوا لأنفسهم، منذ تأسيس روما، حلفاء وأصدقاء من الشعوب المجاورة والمحيطة بهم، وأصبح هذا التقليد سياسة مُعتادة من قِبَلِهم. وعندما توسّعت روما خارج شبه الجزيرة الإيطالية، كان الرومان حلفاء للأمراء والشعوب الأجنبية، وهم على ثلاثة أنواع: يشمل النوع الأول الأكثر تميّزا، وهم الذين لجأوا من تلقاء أنفسهم إلى روما للحصول على صداقة الشعب الروماني، دون أن يشكّلوا أعدائها، وكانوا يزودونها فقط بالجنود، ولا يدفعون أيّة ضريبة. والنوع الثاني، هم ألائك الذين كانت لهم صِدامات مع قوّاتها التّي أخضعتهم في الميدان، فكان لزاما عليهم دفع الضريبة لها، أمّا النوع الأخير فهم الذين فرضت عليهم روما الامتثال إلى قوانينها، زيادة على دفع الضرائب. وكانت روما تعقد معهم معاهدات التحالف، التّي تنص شروطها ألا يكون لحلفائها أصدقاء وأعداء آخرين سوى أصدقاء وأعداء الشعب الروماني، وأن يساعدوا الرومان في كل حروبهم، ويزودونهم بعدد من القوات بقسميها: الفرسان والمشاة، والتي تكون تحت إمرة القادة الرومان، لكن نفقاتها تكون على عاتق الحلفاء الذين زودوا روما بها (Furgault, 1824, p. 12).

وتواصل هذا التقليد، ذو الأصل الإغريقي، خلال العصر الجمهوري، لكنّ مفهومه اتّسم مع نهاية القرن الثاني ق.م بوضعية الخضوع لروما (Coltelloni-Trannoy, 1993-1995, p. 60). حيث عرف نظام "**الممالك الصديقة والحليفة لروما**" تطوّرا خلال تلك الفترة، لتدخل هذه الممالك في مرحلة أخرى مع نهاية القرن الأوّل ق.م، فبعد أن كانت خاضعة لروما، فإنّ "**أغسطس**" جعلها ترتبط به شخصيا، أي أصبحت ترتكز على علاقة شخصية رجل لرجل، وليس على ولاء دبلوماسي، وهناك أدلّة كثير توضّح هذا التطوّر، منها حالة الملك "**هيرود الكبير**"، ملك مملكة يهوذا، الذّي عند لقائه "**أكتافيوس**" برودس، ذكّره، هذا الأخير، بأنّه كان صديقا لـ "**أنطونيوس**" وليس صديقا لروما (Sartre M, 1991, p. 60 ; Coltelloni-Trannoy M. , 1993-1995, p. 61).

كما يمكن أن نستند على دليل آخر، والمُتمثّل في نص لـ "**سويتونيوس**" (Suétone, 1845, Auguste, LX)، يبرز فيه احترام الملوك لشخص "**أكتافيوس– أغسطس**"، من خلال العبارات التالية: "**كان الملوك يغادرون ممالكهم ويأتون لتحيته (تحية أكتافيوس– أغسطس) وأداء فروض الولاء لشخصه، ليس فقط في روما، ولكن، أيضا، عند تنقُّلاته في المقاطعات، وهم يرتدون، فقط، التوجا، دون وضعهم شارات الملك، فيصبحون في حضرته زبائنه وليس ملوكا**". كما يؤكّد "سترابون" (Strabon, 1880, XVII, 3, 25): على حدوث ذلك التطوّر، حين ذكر بصريح العبارة أنّ "**الملوك...، هم، خاضعين للإمبراطور وحده دون سواه**".

كما أنّ روما لا تمنح لقب الحليف سوى للذين يستحقّونه، أي كمقابل لخدمات كبيرة يقدّمونها، وهو ما تؤكّده إجابة مجلس الشيوخ لسفراء الملك "**بوكوس الأوّل**"، الذين أتوا يطلبون منه صداقة الشعب الروماني لسيّدهم (Furgault, 1824, p. 12)، حيث قال في إجابته: "**سيحصل على صداقة وحلف الشعب الروماني عندما**

يستحقُّها" (Salluste, 2017, p. CIV)، أي أنّ الحصول عليها مشروطا بقيمة الخدمات التّي يُقدّمها إلى روما.

تتضّح أهمية ما يُقدّمه هؤلاء الحلفاء، عندما نعلم أنّ الفِرَق التّي يُجنّدونها كانت تفوق بكثير الفرق التّي يجنّدها الرومان أنفسهم، كما أنّ عدد الفرسان يكون مضاعفا، وبمقابل ذلك يلتزم الرومان بحماية حلفائهم والدفاع عنهم، ضد أي هجمات قد يتعرّضون إليها، دون دفع أي ثمن (Furgault, 1824, p. 12).

وفي سياق كلامه عن الحلفاء، يقول "**محمد البشير شنيتي**" (شنيتي م. ب، 2012، ص 214): "**كانت شروط التحالف تمنحهم حق الاحتفاظ بنوع من الاستقلال في تصريف شؤونهم، وممارسة التصرف في ممتلكاتهم، والعمل بنُظمهم الخاصة**". لكن صيغة التحالف كانت تتضمّن ما يفيد الاعتراف بالسيادة الرومانية، حيث كانت روما تشترط إدخال الصيغة التالية في نص المعاهدة، "**معترفة عن إخلاص بهيمنة الشعب الروماني**". ويضيف قائلا: "**وهكذا فالتحالف لم يكن يعني تساوي الطرفين المتحالفين من الوجهة القانونية أو السيادية، ...، وبما أنّ روما كانت دائما في وضعية الأقوى، كانت الشعوب الحليفة دائما تابعة لها**". ولم يمنع ذلك سعي الكثير من ملوك العالم القديم لدى روما ليحصلوا على لقب "**الصديق والحليف للشعب الروماني**"، مع أنّه لا يكون لأغلبهم سوى عبودية حقيقية، كما يُقال (Furgault, 1824, pp. 11 - 12). فالملك رسميا يعد حليفا، لكن في الحقيقة هو زبونا لروما، تشهد على ذلك عديد الأمثلة (Sartre, 1991, p. 60).

ويُطلق مصطلح الحلفاء في المصادر اللاتينية، أيضا، على الذين كانوا يلتحقون للخدمة كمجنّدين في الأسطول الروماني، وهم من الطبقات الدنيا في المجتمع الروماني، أو يُجنّدون من المستعمرات المجاورة للموانئ أو القريبة من السواحل البحرية، أو تلك المستعمرات المُقامة على الجزر، فيُسمّون الحلفاء البحريون (Socii nava) (الناصري، 1991، ص ص 48 - 49).

أما بالنسبة لمصطلح: Amicitia فهي كلمة لاتينية، تعني علاقة بين اثنين متساويين، وتتطلّب خدمات متبادلة: الواجب الاجتماعي مع الود الشخصي، كما تستخدم لترجمة مفهوما ذو أصل إغريقي، يكشف عن تقليد قديم في العالم الهللينيستي، كان يُطبّق في البداية على علاقات روما بالمدن الإغريقية، وابتداء من القرن الثاني على علاقاتها بالملوك (Coltelloni-Trannoy M., 2005, p. 122).

وتقتضي الصداقة الحقيقية وجود تعايشا سلميا، واحتراما متبادلا، وكذلك مُساواة سياسية حقيقية. كما تفترض، أيضا، عدم تدخُّل طرف من الطرفين في السياسة الداخلية للآخر. فاتفاقية الصداقة كانت تُلزم الطرفين اللّذين تربطهما بمدّ يد العون فيما بينهما، وتقاسم نفس المصير، مهما كانت الظروف (Ndiaye S., 1999, p. 42). وهي كما يذكر "**جاك – هنري ميشال**" (Michèl J – H., 2001, p. 10)، على نوعين: إما صداقة بين أشخاص أو بين دول. وهكذا، فإنّه يمكن لشعب ما أن يرتبط مع روما بصداقة أو أن يتلقى منها لقب "**الصديق للشعب الروماني**" (Ndiaye S., 1999, p. 40). ويستفيد الملك من هذه الصداقة الحماية التّي تضمنها له روما (Lemosse M., 1967, p. 67).

لكن، وفي واقع الأمر، أنّ هذا المفهوم الروماني للصداقة قاد روما طبيعيا لإنشاء علاقات خضوع مع الشعوب الصديقة مثلما هو الحال مع أعدائها القدامى. وفي كلتا الحالتين، يكون، دائما، الشعب الأقوى هو الذّي يقود ويأمر (Ndiaye S., 1999, p. 42). وكانت الصداقة مع ملك أجنبي تجرى عن طريق الإمبراطور أو ممثّل الشعب الروماني على الأرض المغلوبة (المحتلة). الذّي يُبرم عقد ميثاق الصداقة. وهكذا، وحسب المفهوم الروماني، فإنّ الصداقة هي تبعية سياسية، وصلة خضوع تتحادث فيها روما مع الأمم التي تلتمسها (Ndiaye S., 1999, p. 41).

أمّا صيغة: «**amicus populi romani**» فهي لقبا ممنوحا من قبل روما لأجنبي أو لشعب تعقد معه علاقات دبلوماسية (Michèl J-H., 2001, p. 10). والحصول على هذه الصيغة ليس بالأمر الهيّن، رغم تقديم الخدمات لروما، وكمثال ملك البوسفور (Asander)، الذّي لم يتحصّل عليه رغم أدائه عديد الخدمات، بينما تحصّلت عليه زوجته (Dynamis) لاحقا، حيث كانت مملكة البوسفور تعقد مع الإمبراطورية علاقات أكثر توطيدا من تلك التّي كانت بين "**أغسطس**" والممالك الأخرى الصديقة (Lemosse M., 1967, p. 68).

ويترتّب عن وجود تلك العلاقة إبرام حلف (alliance) غير متساو، يستلزم الخضوع لروما والاعتراف بسيادتها، وهو يتشكل بموجب علاقات شخصية بين حليف وارستقراطي روماني، وتقتضي التزامات معنوية يخضع لها الحليف وأيضا روما، ربّما تكون مرفوقة بعقد ينص على واجبات الحليف تجاه روما، كتقديم المجنّدين ومن الممكن، أيضا، ضريبة (Coltelloni-Trannoy M. , 2005, note 24, p. 122). أي كان شركاء روما يتحمّلون أعباء عديدة ومتنوّعة. كما كان على الحلفاء عدم تقديم المساعدة لأعداء روما. في حين تطلب هذه الأخيرة من الشعوب الخاضعة لها تقديم مئونة، وأحيان العتاد العسكري. وتاريخ المنطقة يزخر بأمثلة تُثبت ذلك، فعلى سبيل المثال، أبدى الملك "**ميكيبسا**" الكثير من الحماسة لمساعدة الرومان، حيث أرسل إليهم القمح، والفيلة خلال سنتي: 141 و121 ق. م(Ndiaye S., 1999, p. 42) .

بالنسبة للحلفاء، الذين هم الأعداء القدامى المهزومين، فإنّهم، زيادة على ذلك، يدفعون إلى روما إتاوة، دلالة على خضوعهم، ورمزا للنصر الروماني، وقصاصا على خوضهم بالحرب ضدّها. وأخيرا، فإنّ الاحتفاظ بالأسرى كان التزاما آخر يُتحتّم على الشعب الزبون أدائه تجاه روما. وقد وُصِفت هذه الالتزامات بالتعسفية بالنّسبة للشعب الزبون، لكنّه في ذات الوقت، يكشف عن بعد نظر الدبلوماسية الرومانية التّي كانت مفتاح نجاح سياسة روما الخارجية، ولتصبح هذه الاتفاقيات الدولية قانونية وصحيحة وسارية المفعول لا بدّ من أداء قَسَم (Ndiaye S., 1999, p. 43). وقد تستغرق المسألة، في بعض الأحيان، وقتا طويلا لعقدها من خلال تبادل المراسلات، والسفارات (Salluste, 2017, LXXXIII ; CIII - CIV).

3. موريطانيا "مملكة صديقة وحليفة للشعب الروماني"

وبناء على ما تم توضيحه، حملت عديد الممالك التّي دخلت في علاقات مع روما تلك الوضعية القانونية في التشريع الروماني، وهي صيغة: "**المملكة الصديقة والحليفة للشعب الروماني**". لا يتّسع المجال لذكر نماذجا

لها، أريد، فقط، الإشارة إلى خلفية تاريخية لها في بلاد المغرب القديم. حيث ترى "**كريستين حمدون**" (Hamdoune C., 2001, p. 163) أنّ هذه الخلفية تعود جذورها مع بداية العلاقات الأولى بين الأمراء النوميد وروما، بما أنّ لقبهم الرسمي كان لقب "**الملك الصديق والحليف للشعب الروماني**".

وتطلعنا المصادر على أنّ أوّل مملكة حملت هذه الصفة هي مملكة المازيسيل. فقد تحوّل "**سيفاكس**" إلى صداقة الرومان وِفقا لرواية "**تيتيوس ليفيوس**" (Tite-Live, 1869, XXIV, 48 -49). وعلى ما يبدو، جاءت المُبادرة من قِبَل روما التّي استغلت الصراعات بين هذا الملك وقرطاج لخدمة مصالحها في المنطقة، فأرسلت إليه وفدا لاستمالته إلى صفّها، والذّي نجح في مهمّته، التّي حُدّد تاريخها بسنة 213 ق.م (شنيتي م. ب، 1982، ص 23؛ Gsell S., 1927, t. 3, p. 179).

وهكذا، بدأ تطبيق المخطّط الروماني أوّلا في مملكة نوميديا، التّي يعتبرها "**فيليب لوفو**" (Leveau Ph., 1984b, pp. 316 -317) حالة خاصّة، على عكس ما حدث في الممالك الإغريقية، التّي كان ملوكها هم من يلجأ إلى روما. ولو أنّ المصادر بنوعيها لا تقدّم الإشارات المنسوبة للملوك إلاّ نادرا (Coltelloni-Trannoy M., 1993-1995, p. 74). فإنّها، ومع ذلك، تُخبرنا منذ بداية تداولها لأخبار الملوك المحلّيين، أنّ "**سيفاكس**" وأمراء آخرين تحت زعامته مُنحوا من قِبَل مجلس الشيوخ التوجا (toge)، عقب السفارة الثانية التّي سيّرها الملك إلى روما، وهي تعدّ تعويضات للانتصارات التّي ساهم فيها "**سيفاكس**" وألائك الأمراء، والمُتضمّنة أيضا أكوابا من ذهب (Tite-Live, 1869, XXVII, 4, 9).

انتهج ابنه "**ورمينا**" (Vermina) نفس النهج، حيث وجّه سفارة إلى روما في سنة 200 ق. م، طالبا منها قبول تحالفه معها، وبالمقابل استقبل سفارة أتته من روما، قبل ذلك بحوالي سنتين، وبالتحدّيد في ديسمبر 202 ق.م (كامبس ق.، 2010، ص 229). كما تحصّل الملك "**ماسينيسا**" على لقب "**الصديق والحليف**"، وشارات النصر، من طرف مجلس الشيوخ، حيث لعب "**سكيبيو**" دورا مهمّا في سنة 203 ق.م بخصوص هذا الشأن (Coltelloni-Trannoy, 1993-1995, p. 73). والتّي أتى على ذكرها، هذه المرّة أيضا، المؤرّخ الروماني "**تيتيوس – ليفيوس**" (Tite-Live, 1869, XXX, 17, 7 - 8).

تدلّ هذه المعلومات على أنّ سياسة تعيّين الملوك في المنطقة بدأت مع الملك "**ماسينيسا**"، ودخلت المملكة بذلك مرحلة طويلة من التبعية السيّاسية والخضوع لروما (Meynier G., 2007, p. 40). بعد ذلك حمل كل ملوك نوميديا هذا اللّقب وأصبحت المملكة تعدّ من وجهة نظر المشرّع الروماني "**مملكة صديقة وحليفة للشعب الروماني**".

فمن المؤكّد أنّ الملك "**أذربعل**"، قد حمل هذا اللّقب، يتضح ذلك من خلال الخطاب الذّي سرده "**سالوستيوس**" (Salluste, 2017, XIV) على لسان هذا الملك، أمام مجلس الشيوخ يشتكي فيه ما فعله "**يوغرطا**"، وقد تضمّن العبارات التالية: "**أنا حليف الرومان وصديق الشعب الروماني أبا عن جد**".

كما تلقّى الملك "**كاوضا**" (Gauda) من مجلس الشيوخ لقب "**الملك الصديق والحليف**"، بعد أن منحته روما القسم الشرقي من مملكة "**يوغرطا**"، بمعنى أنّها وضعته على عرشها مثلما وضعت، من قبل، "**ماسينيسا**" (Coltelloni-Trannoy M., 2005, p. 121). وكان "**يوبا الأوّل**"، هو الآخر، حليفا للرومان، وزبونا لـ "**بومبيوس**" (Pompée) (Kotula t . & Michalak, 1976, p. 340). فكما يذكر "**سترابون**" (Strabon, 1880, XVII, 3, 7): "**كان يوبا ابن أمير يحمل نفس الاسم، الذّي حارب، كحليف لسكيبيون، ضدّ المؤله قيصر**". كما أكّد "**ديون كاسيوس**" (Cassius, 1845 - 1870, XLI, 42) على منحه ذلك اللّقب من قِبَل مجلس الشيوخ، لكن، فيما بعد، انتزعه منه، واعتبره عدوا وليس صديقا، وهذا بالطبع، بفضل أنصار **يوليوس قيصر**"، لأنّه ظل الملك الصديق في نظر "**بومبيوس**" وأنصاره.

ويتّضح أيضا أنّ مجلس الشيوخ كان هو الهيأة الوحيدة في روما المُخَّول لها القيام بهذه السياسة تجاه الممالك والملوك الذين وضعتهم في إطار الصيغة القانونية "**أصدقاء وحلفاء**"، للعِلْم، لم يكن يحدث ذلك مباشرة وبمبادرة منه، لأنّ المسألة كانت تمر عبر وسطاء، تمثّلهم أفرادا من العائلات الارستقراطية الرومانية، وأبرزها عائلة "**سكيبيو**" (les Scipions) التّي كان أفرادها ممثلي ملوك سلالة نوميديا لدى مجلس الشيوخ، ابتداء من "**ماسينيسا**" وإلى غاية "**يوبا الأوّل**" (Coltelloni–Trannoy, 1993–1995, p. 61).

تتجلى التبعية والخضوع لأوامر روما، عندما وعد "**ماسينيسا**" بأن لا يسلم زوجة "**سيفاكس**" (sophonisbé) للرومان، وأنّه سيتزوجها، لكن ذكّره حينها القائد الروماني "**سكيبيو**" بواجباته كحليف وأنّ يسلّمها لهم (Meynier G., 2007, p. 39).

بالنّسبة لموريطانيا لدينا حالة "**بوكوس الأوّل**"، وهي المثال الأبرز في المملكة، فقد منحه القائد الروماني سولا (Sylla) لقب "**صديق وحليف الشعب الروماني**"، وجزءا من مملكة "**يوغرطا**"، مثلما ذكرت نصوص كلاسيكية، بعد مفوضات بينه وبين القادة الرومان ومجلس الشيوخ – (Salluste, 2017, LXXX ; CII – CIV ; CVIII – CXII ; Plutarque, 1853, Marius 34). وقد تحصّل عليه بعد أن أنجز الواجبات التّي توجّب عليه أدائها تجاه روما خاصة خيانته لصهره "**يوغرطا**"(Gsell S., 1927, t. 7, pp. 264, 268) . ويقول "**سعيد البوزيدي**" (البوزيدي، 2000، هامش رقم 14، ص 128) معلّقا على هذا الحدث: "**بعد قبوله إبرام اتفاقية التبعية والصداقة مع الشعب الروماني بشروط، جاء جواب الرومان ليشدّد الخناق مرة أخرى على الموريين**". وهو الجواب الذّي ذكره "**سالوستيوس**" (Salluste, 2017, CIV).

ويرى أحد المؤرّخين في الإجراءات التّي تمّت بين "**بكوس الأوّل**" والقائدين الرومانيين: "**ماريوس**" و"**سولا**"، قبل حصول الملك على صداقة الرومان؛ والمتمثّلة في سعي الملك في طلبها من القائد الروماني كما يذكر "**سالوستيوس**" (Salluste, 2017, LXXX; CII ; CIV, 4)، وكان سولا قد وعده به (Salluste, 2017, CXI)؛ أنّها تعدّ فرصة استغلّتها روما كمرحلة للتخطيط للسيطرة على المملكة مستقبلا.

حيث استغّل الرومان هذه العلاقة لصالحهم، للتدّخل المباشر في شؤون المملكة خاصة المتعلقة بالحكم، ودشّن بذلك الملك "**بكوس الأوّل**" عهد التبعية لروما في موريطانيا (البوزيدي س.، 2000، ص ص 128 – 129). والذّي تواصل مع خلفائه، مثلما سيتضح أدناه.

ويقول "**محمد مجدوب**" (Majdoub M., 1992, p. 236) عن حصول الملك على ذلك اللّقب بأنّ "**بوكوس الأوّل**" أصبح، "**مُرومنا رسميا**". وعلى النقيض من ذلك يرى "**شارل أندريه جوليان**" (Julien Ch – A. , 1961, p. 118) أنّه شُرّف بلقب الحليف والصديق للشعب الروماني. وقد أثبت الملك اعترافه لسيّده عن طريق التماثيل الذهبية التي شيّدها في الكابيتول بروما سنة 91 ق. م، تمثّل لحظة تسليمه "**يوغرطا**" إلى "**سولا**" (Sylla) (Müller L., 1862, p. 84 ; Coltelloni-Trannoy M., 1993-1995, pp. 63 - 64). تردّد صدى هذا الحدث في مجموعة من المصادر الكلاسيكية (Plutarque, 1853, Marius, 34; Sulla, 6).

من خلال إشارة "ديون كاسيوس (Cassius, 1845 – 1870, XLI, 42)، فإنّ الملكينّ "**بوكود**" و"**بوكوس الثاني**" تم الاعتراف بهما في سنة 49 ق.م، من قِبَل مجلس الشيوخ و"**يوليوس قيصر**"، ومنحا نفس اللّقب، وعلى ما يبدو، أنّهما تحصّلا على هذا الاعتراف مقابل مشاركتها في الحروب الأهلية الرومانية، إلى جانب هذا الأخير (Müller L., 1862, p. 84). فأمر حتمي أن يُخوّل لهما هذا الاعتراف منحهما نفس اللّقب، وبالتالي تصبح مملكة كل واحد منهما "**مملكة صديقة وحليفة للشعب الروماني**". إذ يذكر "**سترابون**" (Strabon, 1880, XVII, 3, 7): "**في وقت سابق، كان لموروزيا ملكين صديقين للشعب الروماني، هما: بكود وبوكوس**".

وتواصل منح لقب "**الملك الصديق والحليف**" لملوك موريطانيا بعد إعادة إحيائها من جديد في سنة 25 ق. م، حيث أُعطي لـ "**يوبا الثاني**"، وفيما بعد تم منحه تشريفات النصر المخصّصة للقادة الرومان (Sennequier et Colonna, 2003, p. 144). لدينا نص لـ "**سويتونيوس**" (Suétone, 1845, Auguste, XLVIII, 2)، يتكلّم فيه عن اهتمامه بهؤلاء الملوك الذين جعل منهم مُكوّنا أساسيا في الإمبراطورية، حيث كان يعتني بتربية أبنائهم، ويربط بينهم بعلاقات قرابة عن طريق الزواج. ويكشف في نفس النص، عن مدى اهتمام إمبراطور روما بمثل هذه الممالك التّي شكّلت جزءا أساسيا في سياسة روما الإستراتيجية الخارجية، رغبة منه في تثبيت كيان الإمبراطورية. ضف إلى ذلك علاقته المميّزة بالملك، التي أوضحنا بعض خفاياها أعلاه.

وتم منح، فيما بعد، صفة "**الحليف والحليف**" لابنه "**بطليموس**"، واستفاد، هو الآخر، من نفس التشريفات (Sennequier et Collona, 2003, p. 144). مثلما يؤكد ذلك "**تاكيتوس**" (Tacite, 1859, Annales, IV, 26) في حولياته، حين ذكر بأنّ مجلس الشيوخ انتدب أحد أعضائه ليقوم بمهمّة منح الملك صولجان من العاج، التوجا الموشّاة، وتحيّته بلقب "**الملك الصديق والحليف للشعب الروماني**".

ولو أنّه لم يتم، إلى غاية الوقت الحالي، معرفة متى حصل الملك "**يوبا الثاني**" على ذلك اللّقب، إلاّ أنّني أرجّح أنّه حصل عليه قبل مجيئه للحكم في المملكة. أمّا بالنسبة لابنه فقد قدّر "**كانيا**" (Cagnat R., 1913, p. 25) منحه له في صيف سنة 24 م، أو على أكثر تقدير، في خريف نفس السنة. حيث حملت له سفارة

مجلس الشيوخ الهدايا المذكورة، وثبّتته على عرش المملكة. وظلّ هذا التاريخ مُعتمدا من قِبَل المختصّين (Leveau Ph., 1984a, p. 14 ; Gsell S., 1927, t. 8, pp. 282 - 283)، لأنّ سياق الأحداث التّي سردتها حوليات "**تاكيتوس**"، والتّي وقعت في تلك السنة تؤكّد ذلك.

استحقّ الملك ذلك الاعتراف نتيجة للمساعدة التّي قدّمها للجيش الروماني من أجل القضاء على المنتفضين، وإخضاع رعاياه (Müller L., 1862, p. 131). وبذلك فمن المؤكّد أنّ الملك "**بطليموس**" لم يُمنح اللّقب في روما، بل أنّ مجلس الشيوخ هو من بادر بإرسال سفارة لهذا الغرض إلى بلاط الملك أين أجريت فيه مراسيم ذلك التتويج. وتؤكّد هذه المعلومات على أنّ ذلك اللّقب كان يرافقه، دائما، تقديم الهدايا المتمثلة في شارات المُلك التّي كانت تُمنح إلى كل ملك تربطه نفس العلاقة مع روما، كما تثبت، أيضا، أنّ هذا اللقب لم يكون يورّث، وحالة "**بطليموس**" هي أقوى دليل، إذ كانت روما هي من تحدد من يستحقه.

وبما أنّ صيغة "الصديق والحليف" تتبعها دائما منح شارات التعيّين، مثلما مّنحت لكل من "**يوبا الثاني**" وابنه "**بطليموس**"، يحق لنا التساؤل: **هل مُنحت الملكة "كليوباترا سيليني"، هي الأخرى، هذا اللقب على أساس أنّ الحكم كان ثنائيا بينها وبين زوجها؟**

من الصعوبة بمكان تأكيد بصورة قطعية منحها لقب "**صديقة وحليفة للشعب الروماني**"، لخلو كل المصادر من أيّ تلميح للمسألة، لكن، ومع ذلك، لا أستبعد، أن تكون قد حصلت عليه، إذ يوحي أحد النصوص القديمة بذلك (Cassius, 1845 - 1870, LI, 15)، كما أنّها كانت في نفس وضعية زوجها بالنسبة لروما، وكانت ملكة فعلية، وطالما هي كذلك، أحتمل أنّ اللّقب مُنح للزوجين بالتّساوي، علما بأنّ الملك "**يوبا الثاني**"، كما تمت الإشارة إليه، لم تتطرّق المصادر صراحة لمنحه هذا اللّقب.

وبمجرد أن يتم الاعتراف للملك بلقبه كـ "**صديق وحليف للشعب الروماني**"، يتّم نقش هذا الامتياز على صفيحة من برونز توضع في الكابيتول بروما، يتوجّب عليه فيها أداء عمله كما لو كان يدير مقاطعة من مقاطعات الإمبراطورية، ولا بد من المصادقة على هذا الإقرار بأضحية مُهداة للكابيتول باسمه (Sartre M., 1991, p. 63).

وارد جدا أن يكون "**يوبا الثاني**"، وربّما معه زوجته "**كليوباترا سيليني**"، قد تلقّى اللّقب بنفس التقليد المعمول به في الأوساط الرومانية، لكن دائما لا تقدّم المصادر التفاصيل عن مثل هذا الحدث، وبالتالي لم تُسعفنا بالدليل. لكن، من دون شك تكون قد جرت نفس المراسيم أثناء تنصيبه، لأنّه يعدّ تقليدا درج الرومان على إتّباعه مع كل الملوك.

فمن خلال هذا اللّقب الذي مُنح لـ "**يوبا الثاني**" وابنه ومحتملا جدّا أن تكون "**سيليني**"، هي الأخرى، قد حصلت عليه، كما أوضحت، والذي منح لملوك غيرهم، يتضّح أنّهم كانوا كلهم، بدون استثناء، يعتبرون لدى الإمبراطور كحكّام عاديون وليس كملوك يقفون معه الند للند(Sartre M., 1991, p. 63) . تأكّد هذا الأمر من خلال وصف "**سويتونيوس**" لهم (Suétone, 1845, Auguste, LX). وعلى حد تعبير "**محمد التازي سعود**"

(سعود م. ت، 2008، ص 80)، فإنّ وصف الواحد منهم "**كونه ملكا، إنّما هو وصف تشريفي في نظر رومة. ولكنه ذو قيمة فعلية سياسية في نظر البربر المحكومين**". على كل، كانت سلطة الملك الزبون محدودة، ففي الظاهر كان يبدو أنّه سيّدا في مملكته، لكن هناك بعض القيود الصارمة، منها عدم السماح له بممارسة سياسة خارجية مستقّلة (Sartre M., 1991, p. 64)، بمعنى أنّ روما وحدها هي من حقها الفصل في السياسة الخارجية للمملكة.

كما تبرز محدودية سلطة مثل هؤلاء الملوك، في وجود وصايا لحكام المقاطعات عليهم، الذين كانوا يتدخلون في شؤونهم، وبالتالي يصبحون خاضعين لضغوطاتهم، وكان الملوك يستشيرون هذه القوة المجاورة لهم، خاصة في المسائل الخطيرة والمصيرية (Sartre, 1991, p. 64) ، والأمثلة على ذلك كثيرة، وفي حالة مملكة موريطانيا حدث مثل هذا التنسيق، إن صح التعبير، بين الملك "**يوبا الثاني**" وعدد من حكام مقاطعة البروقنصلية في المسائل المتعلقة بالثورات والانتفاضات التي شهدتها المملكة (Coltelloni-Trannoy M. , 2005, note 101, p. 137) ، وسار ابنه "**بطليموس**" على نفس الدرب في أحداث ثورة "**تكفاريناس**" (Tacite, 1859, IV, 24, 3).

خلاصة القول، كما ذكرت "**ميشال كولتولوني– ترانوي**"، (Coltelloni- Trannoy M., 1997, p. 30)، أنّ ما حدث في موريطانيا من إعادة إنشائها، هو نهاية عملية طويلة انطلقت أثناء خلافة "**ماسينيسا**"، فحق التنفيذ الممنوح من قِبَل هذا الملك إلى "**سكيبيون**"، مُمثّل الشعب الروماني، حول قضية خاصة بمملكته، والمُتعلّقة بتسوية خلافة العرش من بعده، ثم أنّ روما منحت جزءا من مملكة "**يوغرطا**" إلى "**بوكوس الأول**"، وبعد ذلك قيامها بالاستيلاء الفعلي على مملكة "**بوكوس الثاني**"، وأخيرا وضع أمير على عرش إقليم، يندرج ضمن الأراضي العمومية المملوكة للشعب الروماني (ager publicus)، فهذه الأمور كلّها بالنسبة لموريطانيا، تعدّ المراحل التدريجية لتطور وضعيتها القانونية والسياسية. حتى أنّ "**محمد البشير شنيتي**" (شنيتي م. ب، 2003، ص 79) عبّر عن إعادة إنشاء المملكة بتلك الطريقة، على أنّها لم تكن أكثر من مملكة شكلية.

فعلى حد تعبير "**جون – ماري لاسير**" (Lassère J – M., 1977, p. 239)، بما أنّ موريطانيا منذ سنة 33 وإلى غاية 25 ق.م، كانت ملكية للشعب الروماني، فإنّ إعادة إنشائها من جديد، لم يكن الغرض منه أن تستمر كمملكة، بل كان لظرف مؤقّت، ليتم استعادتها لاحقا في الوقت المناسب. يُعتبر تحليله منطقي، ويستند على وقائع تاريخية، فتاريخ المنطقة يزخر بالحالات المشابهة، خاصة في مملكة نوميديا، حين كانت روما تتدخل لتعطي المملكة لشخص أو تنزعها من آخر، وحدث نفس الشيء في مملكة موريطانيا إذ كانت روما تمنح لهذه الأخيرة أراضي من مملكة نوميديا (Salluste, 2017, XCVII, CXI). كما يرى "**مارسيل لوغلي**" (Le Glay M., 1968, p. 16) أن المملكة تمتّعت، حينها، باستقلال نسبي، وأنّ المرحلة بين 25 ق.م و40 م، كانت في نظر روما عبارة عن تمهيد لإلحاق نهائي، طبّقت فيها مخطّطاتها بتروي ليتسنى لها إدماجها دون صعوبات. وبعبارة أخرى، فإنّ تطور الأحداث تطلّب من "**أغسطس**" إعادة النظر في قراره وسلّم موريطانيا إلى "**يوبا الثاني**"

(Valverde L – A., 2012, p. 163). والتي أعاد، على إثري تلك الأحداث، الاستقلال لها تحت حكم ملك زبون (Valverde L – A., 2012, p. 164). فمن المؤكّد، فإنّ عملية إعادة إحياء المملكة من جديد، حدث في ظروف خاصّة، بما أنّها جاءت بعد مرحلة كانت تشهد الحكم الإمبراطوري يرسم الخطوط الكبرى لإلحاق موريطانيا، لكنّه مشروعا لم يتم انجازه (Coltelloni- Trannoy M., 1997, p. 123).

خاتمة

كشفت هذه الدراسة، عن نقاش دار بين المؤرّخين حول الوضعية القانونية لموريطانيا بين سنتي: 25 ق.م و40 م، أسفر عن وجود اختلافات كثيرة بينهم، إذ نجدهم قد وصفوها بمصطلحات مختلفة، فمنهم من يرى أنّها مملكة تابعة، وآخرون يرون أنّها مملكة زبونة بالمدلول الدبلوماسي والسياسي، أي "**عميلة**" إن صح التعبير، ويطلق عليها غيرهم مصطلح "**محمية**"، أي خاضعة لنظام "**الحماية**". وكلّها تسميات تحاول أن تعبّر عن انضواء موريطانيا تحت السيادة الرومانية. لكن، ومع ذلك، فأغلبها لا ينطبق مع ذلك العصر، أي لا تُعبّر صدقا عن الواقع، لوجود صيغة قانونية في الوثائق الرومانية، تُحدّد وضعية المملكة في تلك المرحلة من تاريخها، وهي صيغة مُركّبة تحمل عبارة: "**المملكة الصديقة والحليفة للشعب الروماني**". ويُطلق على الملك لقب: "**ملك صديق وحليف للشعب الروماني**".

ومن خلال الخلفية التاريخية لإدراج الممالك المحلّية تحت ذلك الإطار القانوني، وبالأخص في مملكة موريطانيا، أثبتت الدراسة أنّ هذه الأخيرة أدرجتها روما ضمنه بعد أن أعادت تأسيسها من جديد، أو بالأحرى واصلت تطبيقه في المملكة لأنّ الملوك النوميد أو المور الذين سبقوا "**يوبا الثاني**" كانوا هم أيضا يحملون نفس اللّقب. كما اتّضح أنّ هذه الخلفية ضاربة جذورها في تاريخ بلاد المغرب القديم، فقد ارتبطت بالملوك النوميد الأوائل، وأوّل ملك حمله هو الملك "**سيفاكس**". أمّا عن مملكة موريطانيا فقد دُشّن هذا اللّقب فيها مع الملك "**بوكوس الأوّل**"، وجعل المملكة تندرج في علاقتها بروما تحت هذا الغطاء.

وتُفصح المصادر صراحة عن منح اللّقب لـ "**بطليموس**" بالطريقة التقليدية، أي من قِبَل مجلس الشيوخ. لكن بالنسبة لوالده، فمن المؤكّد أنّه كان بطريقة مختلفة، لأنّه حصل عليه قبل أن يعتلي العرش، ولا محال أنّه حدث في روما، لكن تعوزنا التفاصيل، وفي حكم المؤكّد لم يقتصر منحه عليه لوحده بل شمل أيضا زوجته.

أمّا عن المصادر المادية فلم تقدم إفادة حول هذا الموضوع بالنسبة لمملكة موريطانيا وملوكها، فحتّى الإصدارات النقدية الوفيرة للمملكة لا نجد ولو على قطعة واحدة منها مثل ذلك التأكيد. لكن الموضوع ليس بحاجة إلى المزيد من المصادر لإثبات أنّ الملوك في مملكة موريطانيا ابتداء من "**بوكوس الأول**" وإلى غاية آخر ملوكها "**بطليموس**"، قد حصلوا عليه من روما، وهو ما يثبت أنّ المملكة كانت تابعة لروما منذ زمن بعيد.

قائمة المراجع

- بنحيون، ماجدة، (2006–2007)، **مدن موريطانيا الغربية خلال القرن الأول ق. م**، أطروحة غير منشورة لنيل دكتوراه الدولة في التاريخ القديم، جامعة الجديدة (المملكة المغربية)، ج. 1.

- البوزيدي، سعيد، (2000)، **علاقة موريطانيا بالرومان بين روابط الفيديس Fides والفويدس Foedus. ما بين 146 ق.م و40 م**"، مجلة كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة القنيطرة (المملكة المغربية)، ع. 2، (ص ص 123 – 140).
- حركات، إبراهيم، (1984)، **المغرب عبر التاريخ**، الدار البيضاء (المملكة المغربية)، دار الرشاد الحديثة، ط 1، ج 1.
- شنيتي، محمد البشير، (1982)، **سياسة الرومنة في بلاد المغرب من سقوط الدولة القرطاجية إلى سقوط موريطانيا (146 ق.م – 40 م)**، الجزائر، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع.
- شنيتي، محمد البشير، (2003)، **أضواء على تاريخ الجزائر القديم. بحوث ودراسات**، الجزائر، دار الحكمة.
- شنيتي، محمد البشير، (2012)، **نوميديا وروما الإمبراطورية. تحوُّلات اقتصادية واجتماعية في ظلّ الاحتلال**، الجزائر، كنوز الحكمة، ط. 1.
- كاركوبينو، جيروم، (2008)، **المغرب العتيق**، تر. محمد التازي سعود، الرباط، أكادمية المملكة المغربية.
- كامبس، قابريال، (2010)، **في أصول البربر. ماسينيسا أو بدايات التاريخ**، ترجمة: العربي عقون، الجزائر، المجلس الأعلى للّغة العربية.
- المحجوبي، عمّار، (2001)، **ولاية أفريقيا من الاحتلال الروماني إلى نهاية العهد السويري (146 ق.م–235 م.)**، تونس، مركز النشر الجامعي.
- مقدون، محمد، (1985)، **ثورة أيدمون**، رسالة غير منشورة لنيل دبلوم الدراسات العليا، كلية الآداب، جامعة سيدي محمد بن عبد الله، فاس (المملكة المغربية).
- الناصري، سيّد أحمد، (1991)، **تاريخ الإمبراطورية الرومانية السياسي والحضاري**، القاهرة، دار النهضة العربية، ط. 2.
- هشام الصفدي، (1967)، **تاريخ الرومان**، لبنان، دار الفكر الحديث.
- Benabou, Marcel, (1976), **La résistance africaine à la romanisation**, Paris, Maspero.
- Cagnat, René, (1889), **Une monnaie nouvelle de Ptolémée, roi de Maurétanie**, Bulletin Archéolohique. n° 3, (pp. 388 – 399).
- Cassius, Dion**,** (1845 – 1870), **Histoire romaine**, traduit par Étienne Gros, Paris, Didot frères.
- Coltelloni – Trannoy, Michèle, (2005), **Rome et les rois « amis et alliés du peuple romain en Afrique. (1er siècle av. J – C/ 1 er siècle ap. J –C)**, Pallas, n° 68, (pp. 117-144).
- Coltelloni – Trannoy, Michèle**,** (1993 – 1995), **les liens de Clientèle en Afrique du Nord, du IIe siècle av. J – C. jusqu'au début du principat**, Bulletin Archéologique, 24, (pp. 59 – 82).
- Coltelloni – Trannoy, Michèle, (1997), **le royaume de Maurétanie sous Juba II et Ptolémée (25 av. J.– C - 40 ap. J.-C.)**, Paris, éditions du CNRS.
- De Furgault, Nicolas, (1824), **Dictionnaire des antiquités grecques et romaines**, Paris, Imprimerie d'Auguste Delalain.
- Frézouls , Edmond, (1980), **Rome et la Maurétanie Tingitane: un constat d'échec?**, Antiquités Africaines, t. 16, , (pp. 65 – 93).
- Enrique Gozalbes Cravioto, (2010), **Los orígenes del reino de Mauretania (Marruecos)**, Polis, 22, (pp. 119 – 144).
- Gsell, Stéphane, (1927), **Histoire ancienne de l'Afrique du Nord**, Paris, Librairie Hachette, t.: 1, 5, 7, et 8
- Hamdoune, Christine, (2001), **Un aspect particulier des relations entre les Romains et les tribus : le patronat**, Antiquités Africaines, t. 37, (pp. 157 – 166).
- Hugoniot, Christophe, (2000), **Rome en Afrique. De la chute de Carthage aux débuts de la conquête arabe**, Paris, Champs d'Université Flammarion.
- Jacques Gascou, (1978), **la succession des bona vacantia et les tribus romaines de Volubilis**, Antiquités Africaines, n° 12, (pp. 109 – 124).
- Jehane Desanges**,** (1989), **L'Hellénisme dans le royaume protégé de Maurétanie (25 avant J. – C. – 40 après J. – C.)**, Bulletin Archéologique, Fasc. B, Afrique du Nord, n° 20 – 21, (pp. 53 – 61)
- Julien, Charles-André, (1961), **Histoire de l'Afrique du Nord, Tunisie – Algérie – Maroc. Dés origines à la conquête arabe (647 ap. J-C)**, Paris, Payot, 2° éd.

- Kotula, Tadeusz et Michalak, M., (1976), **Les Africains et la domination de Rome**, Dialogues Histoire Ancienne, Vol. 2, (pp. 337 – 358).
- Lassère, Jean- Marie, (1977), **Ubique Populus. Peuplement et mouvements de population dans l'Afrique romaine de la chute de Carthage à la fin de la dynastie des Sévères (146 av. J- C – 235 ap. J- C)**, Paris, éditions du C.N.R.S.
- Le Glay, Marcel, (1968), **À la recherche d'Icosium**, Antiquités Africaines, t. 2, (pp. 7 – 54).
- Lemosse, Maxime, (1967), **le régime des relations internationales dans le Haut Empire romain**, Paris, Librairie Sirey.
- Leveau, Philippe, (1980), **l'urbanisme des princes clients d'Auguste : l'exemple de Caesarea de Maurétanie**, in: Architecture et société. De l'archaïsme grec à la fin de la République. Actes du Colloque international organisé par le Centre national de la recherche scientifique et l'école française de Rome (Rome 2- 4 décembre 1980), É.F.R., Rome, 1983, (pp. 349 – 354).
- Leveau, Philippe, (1984), **Caesarea de Maurétanie. Une ville romaine et ses campagnes**, Rome, É.F.R.
- Leveau, Philippe, (1984), **La fin du royaume maure et les origines de la province romaine de Maurétanie césarienne**, BCTH., fasc. B, Afrique du Nord, Paris, (pp. 313 –321).
- Ludwig Müller, (1862), **Numismatique de l'ancienne Afrique**, Copenhague, Imprimerie de Bianco Luno, t. 3.
- Majdoub, Mohamed, (1992), **Les luttes du début du 1er siècle av. J-C. au nord de la Maurétanie**, in : Lixus. Actes du colloque de Larache (8 – 11 novembre 1989), Rome, É.F.R., (pp. 235 – 238).
- Meynier, Gilbert, (2007), **l'Algérie, des origines de la préhistoire à l'avènement de l'Islam**, Paris, la Découverte.
- Michèl Christole et Jacques Gascou**,** (1980), **Volubilis, cité fédérée ?**», Mélanges de l'école française de Rome, t. 92, 1, (pp. 329 – 345).
- Michel, Jacques - Henri, (2001), **Le vocabulaire latin des institutions romains. Suivi des fragments de la loi des XII Tables**, Bruxelles, Université Libre.
- Plutarque, (1853), **Vies des hommes illustres**, traduit par Alexis Pierron, Paris, Charpentier, Libraire – éditeur.
- Roller, Duane W., (2003), **The world of Juba II and Kleopatra Selene. Royal scholarship on Rome's African frontier**, Routledge, New - York,
- Saliou Ndiaye, (1999), **Trêves, traités de paix et traités d'alliances à Rome à l'époque républicaine (509 – 27 av. J.C)**, C.A.M.E.S, série B, vol. 01, (pp. 34 – 44).
- Salluste (Caius Crispus Sallustius), (2017), **La guerre de Jugurtha**, traduit par Nicolas Ghiglion, Paris, éditions Allia.
- Sartre, Maurice, (1991), **l'Orient romain. Provinces et sociétés provinciales en Méditerranée Orientale d'Auguste aux Sévères (31 avant J.C – 235 après J.C)**, Paris, Seuil**.**
- Sennequier, Geneviève et Colonna, Cécile, (2003), **L'Algérie au temps des royaumes numides. Ve siècle avant J-C. 1 er siècle après J-C**, Paris, Editions d'Art.-
- Strabon**,** (1880), **Géographie**, traduit par Amédée Tardieu, Paris, Librairie Hachette.
- Suétone (Caius Suetonius Tranquillus), (1845), **La vie des douze Césars**, traduit par M. Baudement, J.-J. Dubochet, Paris, Le Chevalier.
- Tacite (Publius Cornelius Tacitus)**,** (1859), **Les Annales**, traduit par J.L. Burnouf, Paris, Librairie Hachette. IV.
- Tite – Live, (1869), **Histoire romaine**, traduit par M. Hesnard, Paris, Firmin Didot Frères
- Valverde, Luis Amela, (2012), **La situación de Mauretania a finales del Segundo Triunvirato e inicios del principado de Augusto**, Gerión, vol. 30, (pp. 149 – 167).